كلُّهُنَّ في الهمِّ... نساءْ!

بقلم أدما حبيبي

يظن من يسمع ويقرأ أن للمرأة يوماً عالمياً، وأن الشرق كما الغرب قد خصَّ بنات حواء بيوم يَعرض فيه قضاياها ويبحث عن طرق لتقدّمها وتطورها، يظنُّ أنها قد قفزت فعلاً قفزة كبيرة وقد صارت تحظى بمكانة رفيعة وأصبح لها قدر أكبر. لكنَّ الواقع لا يُملي علينا إلا بما هو عكس ذلك. إذ مرَّ اليوم العالمي للمرأة هذه السنة منذ أشهر خلت بينما معدلات **العنف** ضد بنات حواء تتصاعد في جميع مناطق العالم دون تمييز بين من يطلق على نفسه عالماً متحضراً أو آخرَ نامياً.ففي الدول العربية التي تُعتبر أكثر مناطق العالم سخونةً هذه الأيام، **المرأة العراقية** هي الأكثر تعرضاً لمعاناة الحرب والحصار. فلقد أكدت دراسة أعدتها منظمة **اليونيسيف** على ارتفاع معدلات الوفيات بين النساء العراقيات بالإضافة إلى تفاقم حالات سوء التغذية والإصابة بالأمراض. فالعام الماضي شهد ٢٩٤ حالة وفاة لكل مئة ألف ولادة، بعد أن كانت لا تتجاوز ١١٧ حالة وفاة قبل الحصار والحرب.

وتشير الإحصائيات إلى أن تعرّض النساء الحوامل للإشعاع الذي يسبّبه استخدام أميركا وبريطانيا لما يقرب من ٣٠٠ طن من اليورانيوم المنضّب أدى إلى ارتفاع نسبة المواليد بوزن ناقص أي أقل من ٥و٢ كيلوغرام في ٥% من المواليد. هذا بالإضافة إلى ازدياد نسبة الإصابة بالسرطان بين النساء خاصة سرطان الثدي. وتشير الحوادث إلى أن المحافظات الجنوبية تشهد كل أسبوع وقوع حوادث وسقوط ضحايا من أبنائها نتيجة انفجار القنابل التي ألقيت على العراق ومعظم القتلى من النساء والأطفال الذين يرعون أغنامهم.

أما حال الفلسطينيات فهو لا يختلف كثيراً مع أنه يأخذ أشكالا مختلفة. فمع ارتفاع معدلات الاستشهاد يأتي ارتفاع نصيب المرأة منه. فلقد شهدت مدينة "رفح" في شهر مارس أي شهر الاحتفال باليوم العالمي للمرأة استشهاد امرأة فلسطينية من جراء اعتداء عليها. كما شهدت منطقة "خان يونس" إصابة ثلاث مواطنات بجروح مختلفة عندما تعرّضت بيوتهن لنيران الرشاشات في المخيم. وفي سجن الرملة الذي يضم ٥٣ أسيرة يعانين ظروفا صعبة للغاية تقوم إدارة السجن بعمليات تفتيش ومداهمة مكثفة لغرف وأقسام الأسيرات بحجة البحث عن ممنوعات. والقول يطول حين نتحدث عن العنف الذي تلقاه النساء على الحواجز من قبل المجندات والجنود. هذا قليل من كثير ممَّا تعانيه المرأة العربية في بلدها ومسقط رأسها الذي من حقها أن يكون مركزا آمنا لها ولعائلتها.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

ثم ماذا نقول عن النساء في السعودية، أجل اللاتي يعشن حياة عنف وقساوة من نوع آخر. وعلى الرغم من أن أخباراً مثل هذه لا تُنتشر لأن سياسة التكتم عنها هي الطريقة المتبعة في المملكة، إلا أن بعضاً منها لا يزال يتسرب حين تطلب المنظمات الدولية من السعودية تطبيق الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة. وغالباً ما تبدو أن الأمور هادئة على السطح لكنَّها في الحقيقة ملتهبة في الداخل. فعلى سبيل المثال نورد حادثة الحريق الذي أدى إلى مقتل ١٥ طالبة سعودية في إحدى مدارس مكة. حيث مُنعت الطالبات من الخروج من مبنى المدرسة المشتعل بدون حجاب. ممَّا أدى إلى مصرعهن.

وفي مصر تطالعنا الصحف اليومية بالعديد من أشكال العنف الذي يمارَس على المرأة المصرية فنجد عناوين الصحف تقول: مدرس يغتصب تلميذته أثناء الدرس الخصوصي. وآخر يقول: يقتلان ابنة عمهما بعد الاعتداء عليها ويتقبلان فيها العزاء. وآخر يقول: يرمي زوجته بموقد الكيروسين لتأخُّرها في إعداد الطعام. وتؤكد الدراسات أن ٦٦% من الفتيات المصريات يتعرّضن للعنف في أماكن عملهن، ويأخذ العنف في مجال العمل طابعاً جنسياً.

ليس هذا فحسب، بل كشف التقرير الرسمي الذي طُرح في المؤتمر الإقليمي حول العنف ضد المرأة الذي عُقد في القاهرة مؤخراً **بأن امرأة مصرية من بين كل ثلاث نساء تعرضن للضرب العام الماضي. وأن النسبة تصل إلى النصف فيما يتعلق بالضرب عموما أثناء فترة الزواج. وأن حوالي ٤٥% من النساء تعرضن للضرب مرة على الأقل هذا العام. ولم تنجُ المرأة الحامل أيضاً إذ تعرَّضتْ ٣٢% منهن إلى الضرب أثناء فترة الحمل.**

هذا في عالمنا النامي لكن ماذا عن العالم المتحضّر؟ **خذ مثلا أمريكا بلد الحريات فإنها تحظى بأعلى نسبة لمعدلات العنف الممارس ضد المرأة.** فلقد أظهرت **دراسة للمعهد الوطني للعدل** في الولايات المتحدة أصدرها في سبتمبر العام الماضي، أن عدد الطالبات اللاتي يتعرّضن للاغتصاب سنوياً يصل إلى ٣٥٠ طالبة بين كل ١٠٠٠ طالبة. وكشفت الدراسة التي تم إجراؤها على طالبات الجامعة أن طالبة من كل عشرة طالبات قد تعرّضت لاعتداء جنسي قبل التحاقها بالكلية وغالباً ما يكون المغتصِب صديقاً مقرَّباً أو أحد المعارف.

وإزاء هذه التقارير والإحصائيات ماذا تُرانا نقول أو نفعل؟ وهل باليد من حيلة ؟ ونحن الذين نعيش التطور والتقدم والتحضُّر في القرن الحادي والعشرين. هل عجزنا عن إيجاد حلٍ لنشلِ نساء العالم من هُوَّة المعاناة التي تعيشها والتي تأخذ أشكالا متعددة؟ هل هناك بصيص أمل ورجاء في نهاية النفق المظلم والحالك السواد؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

تقول الدكتورة نادرة شلهوب كيفوركيان أستاذة علم الجريمة في مقابلة أُجريت لها مؤخراً في إحدى الصحف العربية : "**أؤمن أن الذي يعتدي على الآخرين هو إنسان ضعيف يحتاج لعلاج.**"

أجل، ليس هو بحاجة إلى علاج فحسب، بل هو بحاجة إلى تغيير جذري من الداخل، بحاجة إلى أن يصبح خليقة جديدة بالكليّة لكي يقدر أن يعيش **حياة سليمة ومسالمة.** وهذه الخليقة لا يمكن أن يأتي بها المحلّل النفساني ولا الأطباء ولا المرشدون الاجتماعيون، كلا وألف كلا. بل إن الخليقة الجديدة لا يستطيع أن يأتي بها إلا الخالق المبدع سبحانه وتعالى الذي أجرى عملية الخلق أولاً وقبل كل شيء. أجل ، فالله يا عزيزي الذي خلق الإنسان من تراب ، ووضعه على هذه البسيطة لكي يعملها ويحفظها، هو وحده الذي يستطيع أن يصلِحَ عطَبَ القلب وأفكار القلب وميول القلب وشهواته الجانحة. فالقلب هو مصدر العنف والحقد والكراهية والشر، " **وهو نجيس من يعرفه؟**" أجل من يعرف القلب سوى خالقه وواضعه في الإنسان؟ لهذا نجده يقول في سفر إشعياء :" **يا ابني أعطني قلبك** ". وعندما يمنح الإنسان – كل إنسان وليس العنيف والقاسي ومرتكِب الحماقات فقط، بل كل إنسان لأننا جميعا ولدنا بالخطية وبحاجة إلى تغيير القلب – قلبه مركز عواطفه وأحاسيسه ودوافعه، يُجري عندئذٍ الله فيه هذا التغيير الحقيقي. لهذا نقرأ في رسالة الرسول بولس أحد رسل المسيحية الأوائل هذه العبارة الشهيرة: **إذن إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديدا.**

تصوّر يا قارئي أن لا أحد يقدر أن يمنحك هذه الخليقة الجديدة إلا يسوع المسيح وحده. لماذا؟ لأنه هو وحده الذي أخذ عنا عقاب خطايانا، إذ مات وفدانا من الموت الأبدي . حتى إذا آمنَّا به نحصل على الحياة الجديدة والحياة الأبدية في دار النعيم.

إن الله واضح في تعليمه في الكتاب المقدس من أوله إلى آخره، إذ لا يحب القسوة والعنف ويعاقب الاغتصاب والتعدي والإجرام لأنه محبة. حتى أنه يأمر السيد الذي لديه عبيد أن يعاملهم بالعدل والمساواة. فكم بالحري وصيته بالنسبة للمرأة والزوجة ومعاملتها؟ وأختم بهذه الأقوال المأخوذة من المزمور ١٢٨ الذي يقول:

طوبى لكل من يتَّقي الرب ويسلك في طرقه. لأنك تأكل تعب يديك. طوباك وخير لك. امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك . هكذا يباركُ الرجل المتقي الرب.

فكيف نعامل المرأة بالعنف والقسوة، وهي **الشريك والحبيب والصديق؟** هل تعطلت لغة الكلام يا ترى حتى سادت لغة العنف ؟ ليس العنف الجسدي بل العنف النفسي أيضا. آن لنا أن نطلب التغيير في دواخلنا. ونحن الذين تغيّرنا هل نعكس من خلال علاقاتنا مع زوجاتنا صورة المسيح في المحبة الباذلة لكنيسته؟ أم لا زلنا نطبّق الأوامر ونتسلّط ونتعلّق بتقاليد وأعراف موروثة

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

ليس لها مكانة في كلمة الله المقدسة؟ **فهل لعالمنا أمل ورجاء ؟ وهل لعالمنا بعدُ بصيص نور وبهاء؟** ما أحوجنا إلى أن نعود إلى كلمة الله المقدسة كما جاءت في الكتاب المقدس الكلمة التي هي **أقوى من كل سيف ذي حدين فتخرق أعماقنا وتميِّز أفكار قلوبنا ونياتنا.**

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service